Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

المخطوطات وأهميتها في دراسة التاريخ الاسلامي

م.م افراح رحيم علي

كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ذي قار

Afrah-raheem@utq.edu.iq

Summary:

The manuscripts are invaluable treasures. They reveal the knowledge of the former and their blessed efforts in various sciences, including diligence, analysis, collection, writing and translation. That prevailed fourteen centuries ago. However, some of this heritage has disappeared for many reasons, including wars, sedition and fires.

The manuscripts in the Arab-Islamic countries have enjoyed a scientific and cultural heritage that is said to have enjoyed a nation of nations throughout history, not only in its abundance and size, but also in its scientific, literary, cultural and historical contents, and its broad horizons, to cover almost the entire ancient and medieval world, both geographically and historically.

Since the early Islamic times, the Arabs have given manuscripts, books and libraries great care, especially in the Abbasid era, where the movement of translation and authorship flourished, and people accepted to copy and buy books and acquire and take care of them. Public libraries throughout the Islamic State at the time, as well as school and specialized libraries that were filled with millions of books and manuscripts.

الملخص:

تعد المخطوطات كنوزا ثمينة لا تقدر بثمن، فهي تكشف عن علم السابقين وجهودهم المباركة في شتى العلوم وفيها اجتهاد وتحليل وجمع وتأليف وترجمة, إن تراث العرب والمسلمين في تاريخهم يعتبر ثروة هائلة تمثل حضارة الإسلام والمسلمين بصرحها الشامخ المتين، الذي لا تزعزعه ظروف الدهر والسنين، تلك الحضارة التي سادت أربعة عشر قرناً من الزمان. لكن بعض هذا التراث اندثر لأسباب عديدة منها الحروب والفتن والحرائق ويقدر عدد المخطوطات العربية بأكثر من ثلاثة ملايين مخطوطة مبعثرة في مكتبات العالم الإسلامي والغربي.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

وحظيت المخطوطات في البلاد العربية الإسلامية بتراث علمي وثقافي قل أن حظيت بمثله أمة من الأمم عبر التاريخ، ولا يتمثل ذلك في كثرته وحجمه فحسب، بل في محتوياته العلمية والأدبية والثقافية والتاريخية، واتساع آفاقه، ليشمل العالم القديم والوسيط كله تقريباً، جغرافياً وتاريخياً .

لقد أعطى العرب منذ العصور الإسلامية الأولى المخطوطات، والكتب والمكتبات عناية كبيرة وبخاصة منها في العصر العباسي، حيث ازدهرت حركة الترجمة والتأليف، وأقبل الناس على النسخ وشراء الكتب واقتنائها والعناية بها، وقد حفلت المؤلفات العربية بكثير من المنثور والمنظوم الذي يؤكد هذا الحب والولع كما أقيمت المكتبات العامة في جميع أرجاء الدولة الإسلامية آنذاك، وكذلك المكتبات المدرسية والمتخصصة التي حفلت بملايين الكتب والمخطوطات.

المقدمة :

لقد عُنِي المسلمون بالمخطوطات عناية كبيرة لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي والإسلامي من رسائل موضوعها كتاب الله الكريم وأحاديث الرسول أو ما يتعلق بهما ويخدمهما، فجعلوا منها تحفًا فنية ثمينة وتركوا فيها تراثا فنيا عظيمًا. ويكفي أن نشير إلى حجم هذا التراث الإسلامي من خلال ما تحتفظ به متاحف ومكتبات العالم، إذ يوجد بمدينة إسطنبول وحدها ما يربو على مئة وأربعة وعشرين ألفًا من المخطوطات النادرة، معظمها لم يدرس من قبل، هذا بخلاف ما يوجد في مصر والمغرب وتونس والهند وإيران وسائر المتاحف والمكتبات العالمية .

والمخطوطات هي مؤلفات العلماء ومصنفاتهم، وهي لفظة محدثة بعد حدوث الطباعة، لهذا لا تجد ذكرًا لهذه الكلمة (المخطوط) أوالمخطوطات في كلام المتقدمين، وإنما حدثت هذه اللفظة بعد دخول الطباعة، فأصبحت الكتب قسمين: مخطوطات، ومطبوعات. فما كان منها مكتوبًا بخط اليد سُمي مخطوطًا، وما طُبع منها سُمي مطبوعًا، تمييزًا له عن الأول.

ان ثروة الامة العربية الاسلامية من المخطوطات هي اعظم ماخلفته الاجيال الماضية , فهي مؤلفات وضع فيها العلماء خلاصة افكارهم وتجاربهم وابداعاتهم , وهي حافلة بدراسات قيمة في شتى المعارف الانسانية التي توصلوا اليها , واستفاد منها الغرب والعالم اجمع فكانت اساسا للحضارة الحديثة والعلوم المعاصرة المتطورة .

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يقسم الى ثلاثة محاور : تناولنا في المحور الاول تعريف المخطوط لغة واصطلاحا , ثم تطرقنا الى ادوات المستخدمة في المخطوطات , وبعد ذلك تناولنا نشاة المخطوطات . اما المحور الثاني فقد تحدثنا فيه عن اهمية المخطوطات في دراسة التاريخ الاسلامي . في حين تطرق المحور الثالث الى نماذج من هذه المخطوطات والمؤلفات العلمية للمؤرخين القدامى ومدى الاستفادة منها من قبل الغرب والشرق.

المحور الاول : نبذة عن المخطوطات :

اولا: تعريف المخطوطة لغة واصطلاحا:

المخطوط لغة : تعود كلمة مخطوطة الى خطط , أي خط الكتاب يخطه , (ولاتخطه بيمينك) , وكتاب مخطوط , كتاب مكتوب[1] , فالمخطوط لغة : مأخوذ من خط بالقلم , خط الشيء يخطه خطا :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

كتبه بقلم اوبغيره , أي كتاب مكتوب بخط اليد، أي كتب وصور الحرف بالحروف الهجائية بدلا من طباعتها بالمطبعة. سواء كان ما يكتب على أوراق البردي أو غيرها من الرقوق أو الورق العادي[٢].

اما مصطلح مخطوط : هو الكتاب المكتوب بخط اليد لتمييزه عن الخطاب او الورقة او أي وثيقة اخرى , خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة , ويشتمل هذا التعريف على اربعة عناصر اساسية وهي[٣]:

١- ان يكون المخطوط كتابا , أي ان الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والمواثيق والمدونات الموسيقية خارجة عن اطار هذا التعريف .
٢- ان يكون الكتاب مخطوطا , أي ان النسخ المرقونة على الالة الكاتبة والنسخ المصورة او أي مصغر فيلمي هي خارجة عن حدود هذا التعريف .
٣- ان يكون قد كتب قبل عصر الطباعة مع اختلاف انتشار الطباعة من قطر الى اخر , ومن عصر الى اخر ,أي ان النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة خارجة عن اطار هذا التعريف , ويمكن ان نطلق عليه المخطوطات الحديثة لتمييزها عن المخطوطات العربية القديمة .
٤- ان يكون الكتاب مخطوطا بخط عربي بصرف النظر عن مكان النسخ عربيا كان ام غير ذلك .

او يعرف على انه النسخه الاصلية التي كتبها المؤلف بخط يده او سمح بكتابتها او قرأها او نسخها الوراقون بعد ذلك في نسخ اخرى منقولة عن الاصل او على نسخ اخرى غير الاصل , وهكذا نقول عن كل نسخة منقولة بخط اليد عن أي مخطوطة بأنها مخطوطة مثلها[٤] .

وقد ظهرت لفظة مخطوط مع ظهور الطباعة حجرية كانت او سلكية , وقد اطلق العرب على الكتاب المخطوط تسميات مختلفة تختلف باختلاف العصور , فقد اطلقوا عليه في القرن الاول الهجري الرقيم , الزبور , المصحف , السفر , الرسالة , الكراسة , الجلد , الجزء , المجلدة , الكناش , الدفتر وغيرها , وقد اطلق على الكتاب في عصر التدوين والتأليف الديوان او المدون والتأليف او المؤلف والتصنيف او المصنف , وابتداء من القرن الرابع للهجرة حين اكتملت النهضة العلمية والتأليفية في المجتمع العربي اصبح يطلق على مصادر التراث تسميات مثل كتب الاصول , الكتب الامهات , الكتب الاساسية , لما تحويه من اساسيات العلم بالاضافة الى استعمال مصطلحات مثل التقييد , الفهرسة , الكشكول وغيرها كثير , واذا كان ظهور لفظ مخطوط مرتبطا بصناعة المطبوع في التراث العربي فاننا نشير الى ان المغاربة استخدموا عبارة (نسخة قلمية) في مقابل كتاب مطبوع قبل ان يجاروا المشارقة الى استعمال لفظ مخطوط [٥].

وتستعمل كلمة مخطوطة في النشر الأكاديمي والسياقات للتعبير عن النص المقدم إلى ناشر أو مطبعة ويكون النص في طور الإعداد لنشر النسخة المطبوعة عادة بوصفها تعد مخطوطة بيد كاتبها، أو قد تعبر المخطوطة عن الجزء المؤلف من القانون الجنائي، الذي اعد في شكل مخطوط[٦].

والمخطوط يختلف حجمه فاحيانا يكون كتابا ضخما واحيانا يكون كتابا صغيرا او قد يكون رسالة صغيرة او صحيفة واحدة , كما يتباين المخطوط من حيث تاريخه وورقه وخطوطه ودقة نسخه , من هنا فان المخطوط هو كتاب جمع بين صفحاته نتاجا فكريا في موضوع معين من موضوعات العلم والمعرفة او في موضوعات متعددة ومختلفة وكتبت مواده بخط اليد [٧].

ثانيا : ادوات المخطوطة :

ان المواد التي كتبت عليها المخطوطات عبر العصور التاريخية المتعاقبة كانت متعددة ومتنوعة في موضوعاتها العلمية والفكرية التي لاتزال تحتفظ بالعديد منها المكتبات العربية والعالمية , وتفيد

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

الباحث والمحقق في معرفة الزمن الذي كتبت فيه , وبظهور صناعة الورق في افاق الحياة العربية دخل المخطوط العربي مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره تميزت بكثرة الانتاج ووفرته[٨] . ومن اهم هذه الادوات :

١- الرق:

استعملت الأنواع المختلفة من جلود الأنعام المدبوغة في الكتابة في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده، حيث سُمِّيت الجلود المستعملة في الكتابة *الأديم* أو *الرَّق* وهي مصنوعة من جلود البقر والإبل والغنم والحُمُر الوحشية والغزلان، وتُدْبَغ هذه الجلود وتُرَقّق لتصبح ناعمة رقيقة ملساء يمكن الكتابة على وجهيها، وقد اشتهر رَقُّ الغزال في كتابة المصاحف، كما استعمل الرّقّ الأبيض والأحمر والأزرق وأفضلها الرق الأبيض[٩].

يشغل الرق حتى وقت ظهور الورق (الكاغد) بشكل مطلق مكانا متميزا في صناعة الكتاب العربي المخطوط , ونظرا لندرة الرقوق وغلاء ثمنها كان يجدد استعمالها بالطلس واعادة الكتابة عليها اكثر من مرة , ووصلت الينا نماذج من ذلك , وجاء التحول لاستخدام الورق في المغرب الاسلامي متأخرا حيث ظل الرق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجري , بل ان المصاحف المغربية ظلت حتى وقت قريب تكتب على الرق طلبا لطول البقاء , وبدأ الورق الاوربي ذو العلامة المائية في الظهور بعد عام ١٥٥٠م , واستخدم في كتابة المخطوطات العربية بعد ذلك بوقت قريب[١٠] .

٢- الورق:

ظلت صناعة الورق (البردي) في الدولة الاسلامية صناعة مصرية خالصة طوال القرن الاول واوائل القرن الثاني للهجرة حتى اخذ الورق الصيني(الكاغد) مكانه الى جانبه , واستخدم الورق (الكاغد) في مصر بطرق متقطعة في القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي , ولكنه لم يعتبر منافسا للبردي , حتى اواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ,عندما حل محل البردي وبدأت مطابع الورق في الظهور وتوقف انتاج البردي . وصل الينا على البردي جزء من كتاب (الجامع في الحديث النبوي) لعبدالله بن وهب (ت١٩٧هـ) , كشف عنه عام ١٩٢٢م , في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر , وهو اليوم محفوظ في دار الكتب المصرية , بالاضافة الى الالاف من الاوراق واللفائف ذات الطابع الاداري والشخصي[١١] .

ان استخدام الورق في الكتابة والتدوين ساعد على تطوّر صناعة المخطوطات في العالم الإسلامي. ويعود الفضل في اختراع مادة الورق إلى الصينيين الذين أنتجوه في القرن الأول الميلادي، مستخدمين في صناعته سيقان نبات الخيزران (البامبو) المجوفة والخرق البالية أو شباك الصيد، حيث كانت تُغْسل هذه المواد جيدًا ثم تُطْحَن في مطاحن خاصة حتى تتحوّل إلى عجينة طريّة، ثم تُضاف إليها كمية من الماء حتى تصبح شبيهة بسائل الصابون، وبعد عمليات تصفية دقيقة تؤخذ الألياف المتماسكة بعناية لتنشر فوق ألواح مسطحة لتجفف بوساطة حرارة الشمس، وبعد ذلك تُصقل صحائف الورق بوساطة خليط من النشا والدقيق، وتجفف من جديد لتصبح بعد ذلك جاهزة للاستخدام[١٢] .

وقد نقل المسلمون صناعة الورق عن الصينيين، وذلك عندما تمكن المسلمون من الاستيلاء على سمرقند عام ٧٥١م واستبقوا عددًا من أهل الصين من صُنّاع الورق الذين قاموا بإطلاع العرب على أسرار صناعته. ومنذ ذلك الوقت أدخلت صناعة الورق إلى بغداد ومنها انتقلت إلى سوريا ومصر والمغرب العربي ثم إلى الأندلس التي كان لها الفضل الأول في نشر صناعة الورق في أوروبا. تطوّرت صناعة الورق في إيران بشكل أكبر عن مثيلتها في الأقطار الإسلامية الأخرى، حيث استطاع الإيرانيون في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي أن يصنعوا ورقًا فاخرًا من الحرير والكتّان، كما عنوا

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

بضغطه وإكسابه بعض الألوان وتلميعه، ليليق بتدوين دواوين الشعر التي كانت تكتب عليه بالخطوط الجميلة، وتذهّب بالصورة الملوّنة، التي كانت تحلّى بها المخطوطات. وتشهد مجموعة المخطوطات الفنية التي أنتجت في إيران وتركيا والهند والعراق ومصر على ما وصلت إليه الفنون الإسلامية من تطور في التصميم، ودقة في التنفيذ، وروعة في التلوين(١٣).

٣- القلم:

من أهم أدوات المخطوط القلم الذي عرف العرب منه أنواعًا كثيرة منها قلم السعف، وقلم العاج، وقلم القصب، والريشة المعدنية وأفضلها وأكثرها شهرة القلم المصنوع من القصب، وذلك لسهولة بري ريشته لتكون ذات سماكة معينة مسطحة الوجه وذات شق في الوسط لتسمح بانتقال الحبر من القلم إلى الورق مباشره(١٤).

٤- المداد:

صنع العرب المداد من الدخان والعَفَص (شجر البلوط) والصمغ، وقد استعمل حبر الدخان للكتابة على الورق بينما استخدم الحبر الصيني للكتابة على الرقوق وقد نجح العرب المسلمون منذ العصر العباسي في ابتكار أنواع كثيرة من الأحبار تتناسب مع طبيعة المخطوطات والأوراق المستخدمة في ذلك الوقت(١٥).

٥- الألوان:

استخدمت الألوان الزاهية في تحلية المخطوطات الإسلامية، وصنع العرب الألوان من مواد مختلفة، منها ما هو مصنوع من مصادر نباتية كالحنّاء والبن والأرز والورد والأزهار، ومنها ما هو مصنوع من الأحجار الكريمة. وتتميز الألوان المستخرجة من مساحيق الأحجار بأنها ألوان ثابتة لا تتغير بعامل الزمن، وكانت مساحيق هذه الأحجار تُخلط بالصمغ والماء المستخلص من الورد. ومن أهم الألوان التي كانت تُستخرج من مساحيق الأحجار اللونان الأخضر والأزرق اللذان كانا يُستخرجان من أحجار الفيروز النفيسة. أما المصدر الثالث لصناعة الألوان فهو الأتربة بعد أن تُنخل وتُصفّى وتُسحق لتصبح كالكحل ثم تخلط بالصمغ والماء حتى تصبح جاهزة لتحلية صفحات المخطوطات(١٦). أما المصدر الرابع والأخير في صناعة ألوان المخطوطات فهو التذهيب، وهناك نوعان رئيسيان في تذهيب المخطوطات هما المطفي واللماع. أولهما يتم بلصق الأوراق الذهبية الرقيقة في مواضع التحلية والثاني عن طريق التلوين المباشر بماء الذّهب. وهو من الأساليب الفنية التي ارتبطت بفنون الكتاب، وازدهرت في أقطار العالم الإسلامي، فن تزيين المخطوطات بتذهيب بعض صفحاتها أو بتذهيبها كلها. والمعروف أن الخطاط كان يتم كتابة المخطوط تاركًا فيه الفراغ الذي يُطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال النباتية والهندسية المذهبة، أو تنقش فيه صور ذات صلة معينة بالمخطوط، وقد لا يكون لبعضها أيّ صلة قريبة، فيكون الغرض من رسمها تجميل المخطوط فحسب. ويكثر في مثل هذه الأحوال أن تكون الصورة منقولة عن مخطوط آخر. وكان تذهيب المخطوطات يمر بعدة مراحل، أولها يسند إلى فنان اختصاصي في رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف، ثم ينتقل المخطوط إلى فنان آخر يقوم بتذهيب هوامشه وصفحاته الأولى، وكذلك صفحاته الأخيرة، وبداية فصوله وعناوينه. وكانت الرسوم النباتية والهندسية المذهّبة في المخطوطات تصل إلى أبعد حدود الإتقان، ولاسيما في القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين حين بلغت الغاية في الاتزان والدقة وتوافق الألوان. أعظم المخطوطات القديمة شأنًا من الناحية الفنية هي مخطوطات المصاحف التي كانت تذهّب وتزيّن بأدقّ الرسوم وأبدعها، وكان تعظيم القرآن الكريم يدفع كثيرًا من الفنانين إلى العناية بتذهيب المصاحف.

Thi Qar Arts Journal
ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X
vol 33 No.2. 2020

وأقبل بعض الأمراء والعلماء وكبار رجال الدين والأدب على تعلم فن التذهيب وكانت لمساعدتهم المادية والمعنوية للمذهبين أكبر الأثر في إخراج أعظم مخطوطات المصاحف [١٧]

ثالثا : نشأة المخطوطات :

لقد كانت بداية ظهور المخطوطات عندما بدأ الانسان القديم الرسم على جدران الكهوف ثم بتطور البشرية عرف الانسان النار وكيف يستعمل ماتبقى من رماد الخشب في الكتابة ثم باكتشاف المعادن اكتشف الانسان الحفر على الحجر, وكان المصريون القدماء اول من كتبوا بالاحبار الكاربونية على الورق البردي في التاريخ كذلك استعمل طريقة الحفر والتلوين بالاكاسيد المعدنية الثابتة الالوان على جدار المقابر وكانت اول ثورة تكنولوجية في صناعة مواد الكتابة هي صناعة ورق البردي منذ ٣٠٠٠ سنة , وكان الفضل للصين في صناعة اول ورق كتابة في العالم , ومن اهم المخطوطات القديمة التي ظهرت خلال العصر الاسلامي هي رسائل رسول الله (ص) الى الملوك والحكام يدعوهم الى الاسلام , ثم اصبحت المخطوطات المادة التي حفظت تراث الامم [١٨].

كانت الرواية الشفوية اول محاولة لنشر العلم , والرواية هي الطريقة البدائية للعلم عند جميع الشعوب , ولكن الرواية العربية اقترنت منذ اللحظة الاولى بالحرص البالغ والدقة الكاملة والامانة , كان هذا اساسها على الاقل , لان الدين يدعوا الى ذلك , ولان الكثير من نصوص الكتاب والكثير من نصوص السنة كان شاهدا من شواهد التشريع , وكانت الكتابة شيئا جديدا , فالعرب كانوا قوما اميين لم تنتشر الكتابة بينهم الابدعوة الاسلام , ففي اعقاب غزوة بدر كان من طرق مفاداة اسرى المشركين ان يعلم الاسير عشرة من المسلمين الكتابة , وكان عدة من كتب لرسول الله (ص) زهاء اربعين كاتبا , وكان هؤلاء الكتاب يكتبون وحي القران , وقد كتبوا القران كله[١٩] .

وفي عهد الدولة الاموية ونتيجة لاتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية واختلاط العرب بالاعاجم , فكان طبيعيا ان يؤلف النحو وتوضع فيه اوائل الكتب , وتثور الفتن وتتفرع المذاهب وتكثر الفتاوى الدينية , فكان لابد للناس من كتب في الدين يرجعون اليها لتكون لهم اماما خشية ان يكون عمادهم اقوال مختلف العلماء ومذاهبهم التي قد توجهها الاهواء ونوازع السياسة والعصبية فيدونون الحديث . وكانت تظهر جهود اخرى في التاليف المبكر , تتمثل فيما ترجم لخالد بن يزيد بن معاوية من علوم اليونان ومالف هو من كتب في الطب والكيمياء , فضلا عن ذلك فقد اشتهر في ذلك العهد كاتبا كان موصوفا بحسن الخط واسمه خالد بن ابي الهيجاء , كان سعد قد نصبه لكتابة المصاحف , كان يكتب الشعر والاخبار للوليد بن عبد الملك[٢٠] .

ومع تطور الكتابة العربية نحو النضج والكمال , ومع تحركها نحو الصورة النهائية التي استقر عليها الى اليوم , كانت حركة التاليف تشق طريقها الى الوجود , حيث تمضي حركة التاليف مسرعة في خطاها حتى لنجد رجلا كأبي عمرو بن العلاء (٧٠-١٥٤هـ) يكتب عن العرب الفصحاء كتبا تملا بيتا له الى قريب من السقف , ورجلا كعبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي (وكان في العصر الاموي) يتخذ بيتا فيجعل فيه ناديا ثقافيا فيه شطرنجات ونردات ودفاتر (فيها من كل علم) , ولكن كتب القرن الاول الهجري واوائل القرن الثاني الهجري لم تكن سوى مباحث مفردة لايتجاوز كل منها حدود المسألة التي يناقشها الى مايتصل بها او يدور حولها , فكان الكتاب بمنزلة فصل من فصول كتاب من الكتب الحديثة , ومثال ذلك (مسائل نافع بن الازرق) التي تنسب الى ابن عباس ونشرها محمد فؤاد عبد الباقي ملحقة بمعجم غريب القران , وبظهور حلقات الدرس ومجالس الاملاء في القرن الثاني بدأ التاليف يتجاوز حدوده القديمة واصبح العالم لايلتزم بموضوع محدد وانما يتعرض لاكثر من موضوع يتناول اكثر من فن من فنون المعرفة في المجلس الواحد , يشجعه على ذلك ان هذه المحاضرات وحلقات الدرس لم تكن معدة ولامكتوبة وانما كانت تخضع للارتجال والظروف[٢١]

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

ثم تنهض الدولة العباسية وينهض التدوين ويتحرر المحدثون من هذا التزمت , وتوضع مسانيد الحديث وكتبه في كل صقع , وتظهر الكتب في شتى الفنون الدينية محتفظة بالطابع الذي غلب على اغلب المحدثين , وهو اسناد الرواية الى مؤلف الكتاب والقراءة على الشيخ والاجازة والمكاتبة والوجادة , تسرى هذه القواعد التي تكفلت كتب مصطلح الحديث فيما بعد بتفصيلها وبيان شرائطها , وهذا كله مقرونا بالحرص على الضبط والتصحيح [٢٢].

وحينما بدأت حركة الترجمة في العصر العباسي ظهرت في لغة العرب مسميات اجنبية لعلوم او فروع من علوم كالجغرافية والفلسفة والغورثمي وهذه مسميات تقبلها الناس واستعملوها وكانت دلالاتها واضحة في اذهانهم , وفي العصر الحديث ونتيجة طبيعية للاتصال بالثقافات الاجنبية والانفتاح حاليا (علم المعلومات) على اساس ان المكتبة اشتقت تسميتها من الكتاب الذي ظل الوعاء الاوحد والاساس للمعلومات لقرون طويلة , اما الان فقد بدأ يتنازل عن عرشه ويتخلى عن مكانته تدريجيا لأوعية اخرى حديثة لم تكن تخطر للبشرية على بال منذ عشرات السنين[٢٣].

وقد وصل الينا هذا التراث على شكل نصوصا مكتوبة حفظتها اوعية رصت على رفوف خزائن العلم في انحاء المعمورة , فحيثما كانت حركة التأليف باللغة العربية كان المخطوط تحفظه المكتبات العامة او الخزائن الخاصة , نجده في اقاصي الهند والصين شرقا , كما نجده في اقاصي بلاد الاندلس غربا , تلك هي مستقرات المخطوطات العربية , ثم كتب عليها ان ترحل في البلاد , حيث نقل المخطوط من مستقره في بلد ليودع في خزانة بلد اخر , وتعددت دور الكتب التي تحفظ فيها المخطوطات العربية في انحاء العالم على وجه التقريب , نجدها في مكتبة الكونجرس وجامعة برنستون في الولايات المتحدة الامريكية غربا , كما نجدها في مكتبات الصين والهند شرقا , واصبح على العثور على المخطوط بسبب هذا التوزع والانتشار , امرا غاية في العسر ان لم نقل مستحيلا[٢٤] ,

ان اول مخطوط عربي ظهر الى الوجود كان في المدينة المنورة , وذلك عندما تم جمع القران الكريم على صحائف من الرق , ثم استنسخت منه مجموعة من المصاحف التي وزعت على بعض العواصم في الامصار الاسلامية في عصر الخليفة عثمان بن عفان , كما ان حركة تدوين الحديث الشريف والكتابة في موضوعات ذات علاقة بالعقيدة والتفسير افرزت مجموعة من الكتب التي احتفظ بها اصحابها [٢٥].

وكانت تلك المصاحف الاولى مكتوبة على الرق لكونه ابقى دواما واكثر استيعابا للنص , وكانت مجردة من النقط والشكل شأنها شأن كل مابقي لنا من كتابات ذلك الزمن , وكانت مجلدة بابسط صور التجليد وهو وضع كل منها بين لوحين بسيطين من الخشب المجرد من الحلي والزخارف[٢٦] .

اتسعت بعد ذلك دائرة التدوين والتاليف والترجمة لكل مايتعلق بحياة الرسول (ص) والحديث الشريف , وامتدت ايضا الى القصص والاخبار والتاريخ واللغة والادب والعلوم البحتة والعلوم التطبيقية , الى ان بلغت ذروتها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين اللذين شهدا ذروة النشاط العقلي العربي , ويعتبر الشافعي والواقدي والمدائني وجابر بن حيان وهشام الكلبي واسحاق الموصلي ومن بعدهم الجاحظ والكندي والرازي نماذج رائعة لكثرة الكتب وضخامة حركة التاليف في تلك الحقبة من التاريخ العربي , وهكذا بدأ نشاط امتنا العربي يزداد انتشارا وازدهارا في الوقت الذي كانت فيه اوربا تعيش في عصورها المظلمة [٢٧].

فقد استدعى اختراع الورق وانتشار استعماله واتساع العمران ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة وصناعة الكتب , وهؤلاء اطلق عليهم الوراقين وما يؤدونه من عمليات النسخ وبيع الكتب والمخطوطات عرف بالوراقة , وكان الوراقين يقومون بتنظيم العلاقة بين النساخ والقراء كما يقوم

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

الناشرون في العصر الحديث , فكان لهم دور كبير في تاريخ الحضارة والثقافة الاسلامية وانتشار المخطوطات[٢٨] .

وكنتيجة طبيعية لازدهار حركة التأليف والترجمة , وكثرة الكتب وتداولها بين الناس , ظهرت اول مكتبة ضخمة في تاريخ العرب , وهي بيت الحكمة او خزان الحكمة , التي انشأها الخليفة المأمون والتي كانت مركزا للترجمة والنشر بالتعبير الحديث , حيث لما تولى المأمون الخلافة وجه همه الى الاهتمام ببيت الحكمة والى الترجمة والتأليف , فترجمت له كتب الحكمة المختلفة , واختار لها مهرة المترجمين , حيث بلغ عدد المخطوطات التي كانت في بيت الحكمة اربعمائة الف كتاب مخطوط , وهذا ما يدل على ان حركة التأليف والترجمة , سارت جنبا الى جنب , ثم ان معظم المؤلفين كانوا مترجمين وهو ما يجعل الفصل بينهم صعبا , وانتشرت بذلك دور الكتب في كل مكان حيث وصل في بغداد عدد دور الكتب العامة اكثر من ١٠٠ دار عام ٨٩١م .ونتج عن تطور حركتي التأليف والترجمة تطور نسخ المخطوطات , حيث امتلأت مكتبات العالم بالمخطوطات العربية , فاعجب العلماء والمستشرقين الغربيين بعظمة التراث العربي المخطوط واثره في الثقافة العالمية , فانهمكوا في اعداد البحوث والدراسات لابراز هذا التراث , ومنهم على سبيل المثال المستشرق الاسباني خوان فيرينت خينس والروسي روزنفلد الذي الف كتابا مهما بعنوان (مع المخطوطات العربية) [٢٩].

لذلك فان مصطلح المخطوط حديث في كل اللغات وان ظهوره افرزه اكتشاف الطباعة , واذا كان الاهتمام به كمتن قد بدأ منذ بداية عصر النهضة الحديثة فان الاشتغال به كقطعة مادية بدأ في القرن الماضي في اطار مايسمى بعلم المخطوط بمفهومه الحديث او الكوديكولوجيا بعناية الفولولوجيين اللاتين , واذا كان المخطوط الاوربي قد خطا خطوات في هذا الاطار فان المخطوط العربي الذي يعتبر اضخم تراث في العالم , مازال في المراحل الاولى من دراسته دراسة مخطوطيه علمية حديثة[٣٠] .

وكانت المخطوطات منذ القدم تصان ويتم المحافظة عليها عن طريق خزنها في المكتبات الملكية في مجموعات منفصلة , او عن طريق تسليمها الى اشخاص مختصين , عادة تكون المخطوطات القديمة بالية وهشة , بسبب مهاجمتها من قبل حشرات مختلفة , او تعرضها لاشعة الشمس او الرطوبة , توجد ايضا بعض اجزاء من المخطوطات ممزقة او مشتتة او مفقودة , ومع ذلك لكل ورقة من المخطوطة قيمة فريدة من نوعها ذاتيا , ينبغي المحافظة على المخطوطة في اكداس خاصة والكثير منها بحاجة الى الترميم , وينبغي المحافظة على هذا التراث من النفائس جراء تعرضها لاية اضرار محتملة او خطر معين وذلك من خلال انواع مختلفة من الانشطة العلمية والعملية[٣١] .

المحور الثاني : اهمية المخطوطات في دراسة التاريخ الاسلامي :

ان الميزة الفريدة التي امتازت بها اللغة العربية جعلت المخطوط العربي اطول مخطوطات العالم عمرا واكثرها عددا , فمن ورائنا قرابة اربعة عشر قرنا من التراث المخطوط , وهو تراث ضخم لايتوفر لاي امة من الامم , ولافي اي لغة من لغات البشر , ومع ان الطباعة قد دخلت الشرق مع الحملة الفرنسية على مصر في اواخر القرن الثامن عشر , الا ان احدا لايستطيع ان يزعم ان هذا التاريخ كان نهاية عصر المخطوط العربي , فقد ظلت للمخطوطات قيمتها واستعمالاتها حتى انتشرت الطباعة في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي[٣٢] .

لقد كانت المخطوطات العربية من الكثرة بحيث فاقت بعددها وتنوع موضوعاتها اي تراث فكري عالمي اخر , وقد ضاع الكثير من هذا التراث المكتوب بسبب الحرائق والحروب واعتداء الدول الاجنبية كالتتار والمغول والصليبيين كما سرق الكثير منها اثناء فترة الاستعمار ومن ثم نقلها الى اوربا وامريكا ,

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

ويقدر عدد المخطوطات العربية الموجودة في العالم باكثر من ٤ او ٥ ملايين مخطوطة مبعثرة في مكتبات العالم الاسلامي والغربي كما ان الكثير منها مجهول لانعرف عنه شيئا لانها لم تفهرس[٣٣]

وتشكل المخطوطات ارثا وتراثا لانها تمثل اصل الكتب ويقع علينا واجب المحافظة عليها ونشرها لتعم فائدتها على الكل واظهارها الى الوجود بدل من ان تكون مركونة في المكتبات , وتمثل المخطوطات احد مكملات الكتب ووجودها فيها يمثل علامة على متانة المكتبة , ولاسيما تلك النادرة منها , الا ان وجود هذه المخطوطات يتطلب منا المحافظة عليها وصيانتها بين الحين والاخر من التلف والتمزق وغيرها من العوارض التي تتاثر فيها وكل ما يجنبها من التعرض للمخاطر التي تؤدي الى نهاية هذا الصرح العلمي , ولقد حرصت اغلب المكتبات في العالم الكبيرة والصغيرة منها المشهورة منها والغير مشهورة , على عمل فهارس لمخطوطاتها بشكل يتلائم مع ماموجود في المكتبة سواء اكانت كبيرة ام صغيرة , من قبل اشخاص مختصين بهذا العمل , وتكون هذه الفهارس مرتبة بطريقة معينة وفق ضوابط محددة مع ما متوافر لدى المكتبة من امكانات وانظمة لعمل تلك الفهارس على سبيل المثال : مكتبة المتحف البريطاني , والمكتبة الاهلية في باريس , ومكتبة الكونغرس الامريكية[٣٤] .

كما ان اهميتها تعود لما تحويه هذه المخطوطات من معلومات قيمة تعين الباحثين على معرفة الكثير من اخبار الماضي , فتعد مصدرا وثائقيا ومعلوماتيا هاما لاسيما اذا زودت بصور توضح النص الوارد فيها , حيث اصبح لفن المخطوطات المزينة بالصور مدارس خاصة بها وتمثل المدة الممتدة من القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر الميلادي اكثر الفترات ازدهارا في مجال تزويق المخطوطات بالصور سعة , لاسيما في مجال المخطوطات التاريخية التي حفظت لنا وزودتنا بمعلومات بالغة الاهمية لتفاصيل الكثير من الاحداث التاريخية المختلفة كالحروب التي خاضتها الدول او مراسم تنصيب الملوك والسلاطين وغيرها[٣٥] .

ويعد العرب والمسلمون من اعظم الامم تراثا , فقد الفوا وصنفوا الملايين من الكتب في مختلف ميادين الثقافة والعلوم الانسانية , وقد كان نتاج العلماء والمحدثين والفقهاء واللغويين والشعراء والكتاب والادباء والرياضيين والفلكيين وغيرهم خصبا واسعا حتى زادت مؤلفات بعضهم على المئة وبلغت مؤلفات بعضهم الخمس مئة , وقد ضاع الكثير من هذا التراث العربي المكتوب , كما ابيد الكثير من الكتب المتعلقة ببعض المذاهب الفلسفية او الفرق , مثل كتب المعتزلة او الباطنية , والكثير من هذه المخطوطات مجهول لانعرف عنه شيئا , لانه لم يفهرس , او لم تنشر فهارسه وتطبع , ليطلع عليها العلماء وارباب الاختصاص , وخاصة مخطوطات العالم الاسلامي والعربي[٣٦] .

وقد تنبه العرب والمسلمون , في السنوات الاخيرة الى عظم هذا التراث وقيمته , واخذوا يبذلون الجهود لمعرفته والاطلاع عليه , فسارت هذه الجهود في ناحيتين : الاولى جمع هذا التراث المبعثر وايداعه في مكان واحد ليرجع العلماء اليه , وكان اعظم عمل في هذا الباب تأسيس معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية , ليقوم بتصوير التراث العربي تدريجيا , على الافلام ويجمعه في القاهرة , ويضعه تحت تصرف العلماء والباحثين , وقد قام المعهد بعمله وجمع الالوف المؤلفة من صور المخطوطات العربية من اماكن مختلفة من العالم , والناحية الثانية هي فهرسة المخطوطات , اي وضع فهارس للمكتبات التي تحتوي على مخطوطات , وقد صدر في السنوات الاخيرة عدد لابأس به من هذه الفهارس , يختلف في الصحة والجودة , وسداد الطريقة واضطرابها[٣٧] .

ان أهمية المخطوطات كبيرة جدًا، فعلم الأمة مدون فيها، ومدون فيها الوحي وتفسيره؛ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وشروحها، وفقه الأمة، وعلم الأئمة، وتاريخها، ولغتها، وغير ذلك، وأمة بغير ذلك ليست أمة !ولا شك أننا ما زلنا حتى اليوم في حاجة ماسة إليها، بل إنه كلما تقدمت بنا السنين ازدادت حاجتنا، وحاجة الأمة عامة، إليه.لهذا فالحفاظ عليها متعين، وهو واجب على الأمة، ومن فروض

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

الكفايات، بحيث لو قدر أنه لم يقم به أحد: فالإثمُ واقع على الجميع! , أما الزعم أن المطبوعات تكفي عن المخطوطات: فهذا غير صحيح، ولا يقوله إلاَّ من ليس له معرفة بتاريخ الأمة، ومصنفات الأئمة، وحجم مؤلفاتهم، وكثرة مصنفاتهم. فلو نظرت إلى عدد عناوين المطبوعات التراثية - الكتب التي طبعت عن مخطوطات- لوجدتها قليلة، حتى لا تكاد تمثل نسبة مئوية يسيرة بجانب أعداد المخطوطات. وما يملأ عين الناظر من المطبوعات اليوم: هو طبعات مكررة كثيرة لعناوين محدودة، فالعنوان الواحد يطبع مائة مرة. وربما أكثر(٣٨) .

حتى هذه المطبوعات التراثية -مع قلة عددها موازنة بحجم المخطوطات- لا تكاد تسلم من أمر يقدر تمام الاستفادة منها؛ فبعضها طبع طبعة كثيرة التحريف والتصحيف والأخطاء، عن نسخة خطية سيئة، أو كان سبب ذلك سوء المحقق، وضعفه العلمي. وبعضها طبع طبعة جيدة، غير أنها نافدة، لا تكاد توجد إلاَّ بنوع من المشقة. ولو سلمنا بأن بعض المخطوطات تطبع طباعة جيدة متقنة مصححة: فإن ذلك لا يغني عن المخطوطات، فالمخطوط يبقى شاهد عدل وصدق على سلامة المطبوع وصحته، وعدم تحريفه، أو تزويره، أو الزيادة فيه، أو النقص منه. وكلما زاد عدد المخطوطات للكتاب زادت الشهادة على إتقان المطبوع وصحته أو عدمها، كحصول الشهادة على الشهادة(٣٩).

لقد كانت تستعمل المخطوطات في خزن المعلومات ونشرها؛ وفي الغرب، فإنه سبق عصر المخطوطات عموما عصر الطباعة، ولهذا نجد من تراث المخطوطات نسخ الرهبان في الكنائس الكتب باليد. ونسخوا ليس فقط الأعمال الدينية، ولكن مجموعة منوعة ومختلفة من النصوص بما في ذلك بعض من الكتب التي تحتوي على علوم الفلك، والأعشاب، والهندسة غيرها. وتتعامل ثقافة المخطوطة في القرون الوسطى مع انتقال المخطوطة من الكنائس والأديرة إلى السوق في المدن، ولغاية وصولها إلى المعاهد والجامعات. وقد أدى إنتشار نسخ المخطوطات في المدن إلى خلق فرص عمل تقوم على صنع المخطوطات والاتجار بها، وعادة ما تنظمها إدارة الجامعات. ولقد اتسمت ثقافة المخطوطات المتأخرة بالرغبة في التوحيد، والوصول الجيد والمناسب إلى النص الوارد في المخطوطة، وسهولة القراءة بصوت عال، ونمت هذه الثقافة في أوروبا وشمل ذلك تغييرا في المواد (عند النسخ من ورق إلى ورق)، وكان يشكل آلية للتوافق من قبل الكتاب المطبوع، مع التأثير أيضا على ذلك (٤٠).

من يتتبع تاريخ الادب العربي خلال القرون الخمسة الاولى للهجرة يدرك ان الكتب المؤلفة خلال تلك الحقبة من الزمن _ اي منذ بدء التأليف في الاسلام حتى نهاية عام ٥٠٠ للهجرة _ لاتدخل تحت حصر فهي من الكثرة والتنوع , بحيث يتعذر على الباحثين من ابناء عصرنا ان يلموا بأسماؤها جميعا , ولايخفي ان جملة كبيرة من هذه المؤلفات قد امتدت اليها ايدي الضياع ولعل ابرز هذه الاسباب هي جهل الانسان وتعصبه واهماله , والفتن والحروب والحرائق والغرق وافاعيل الطبيعة , من حر وبرد ورطوبة وجفاف , وفعل الحشرات والهوام , وغير ذلك من اسباب التلف التي تآلبت قرنا بعد قرن , على ذلك التراث العربي العظيم فابادت كثيرا من معالمه(٤١) .

والمخطوطات العربية المؤرخة ذات قيمة مادية هامة اذ تعرفنا بالعصر الذي كتب فيه المخطوط مما يساعد على تفهم الوسط العلمي والاجتماعي والثقافي الذي دون فيه المخطوط , لذا فان عمل فهارس تاريخية للمخطوطات المؤرخة ترتب فيه حسب تاريخ كتاب النسخة يعد عملا اساسيا يجب ان يضطلع به امناء المكاتب لاهميته وفائدته الكبيرة في دراسة المخطوط العربي , وكذلك نشر النصوص الكاملة لحرد المتن للمخطوطات العربية(٤٢) .

لقد كان مؤلفات الاطباء العرب وتجاربهم جسورا عبرعليها الطب الاغريقي الى اوربا مصبوغا بالصبغة العربية التي اضافت اليها واستدركت عليه , وقد اعترف بهذا مؤرخو العلوم , من المستشرقين وغيرهم(٤٣) :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

يقول نيكلسون , من كلام طويل : (وما المكتشفات اليوم لتحسب شيئا مذكورا ازاء مانحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلا وضاءا في القرون الوسطى المظلمة في اوربا)

وقال الطبيب الاوربي دي بور : (كان الطب ميتا فاحياه جالينوس , وكان متفرقا فجمعه الرازي)

وقال وليم اوزلر :(ان العرب اشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية , وبلغت صناعة الطب عندهم حتى القرن الثاني عشر الميلادي , مكانة واهمية لانجد لها مثيلا في التاريخ)

ومن اقوال سارتون : (ان بعض المؤرخين يحاول ان يبخس قدر ماقدمه العرب للعالم , ويصرحون بان العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة , ولم يضيفوا اليها شيئا , وهذا الرأي خطأ , وانه لعمل عظيم ان ينقل الينا العرب كنوز الحكمة اليونانية ويحافظوا عليها , ولولا ذلك لتاخر سير المدنية قرونا عديدة) .

ومن الامور الجديرة بالذكر ان الكثير من المخطوطات بقي موفورا يملأ الخزائن العامة والخاصة الى عهد قريب , وان ما ضاع منه بسبب غفلة الناس وتفريطهم اكثر مما ضاع بسبب عوادي الحروب والايام , وان ما يقال من ان ماء دجلة قد اسود من كثرة ما القي فيه من المخطوطات , ايام غارة التتار , فان ذلك من المبالغات , واية ذلك ما نراه من موسوعات للعلماء المتأخرين من امثال جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) , وعبد القادر البغدادي صاحب كتاب الخزانة (ت١٠٩٣هـ) , والمرتضى الزبيدي صاحب كتاب تاج العروس (ت ١٢٠٥هـ) , ففي هذه المصنفات وفي اثنائها كتب كثيرة , لانعرف لها وجود الى الان , ولازالت الايام تظهرنا على مخطوطات نفيسة , كنا نعدها من المفقودات[٤٤] .

ان جهل النساخ والسرعة في النسخ واختلاف الاذواق والمذاهب والعقائد والاتجاهات السياسية وغيرها مما ترتب عن ذلك من تصحيف وتحريف وسقط وخلل كل ذلك خلف اثره في التراث المخطوط الامر الذي يدعوا الى القيام بمجموعة من الاعمال العلمية لمعالجة هذه المشاكل يكون اولها وضع فهارس للنساخ وفوتوغرافيات خاصة بهم , اما البحث في الخزائن ومجموعات الكتب وفي اصحابها ومالكيها وفي مصادر المخطوطات وتناقلها بين الخزائن والدول والاشخاص وماشابه ذلك قد يمكن المختصين من الاجابة على بعض التساؤلات التي تؤرقهم وتشغل بالهم , مثل التساؤل عن الايدي التي تناولت الكتاب وتصفحته وتملكته وقرأته وحشته وعلقت عليه , وعن المكتبات او المجموعات الخطية التي كان ينتمي اليها المخطوط , ثم عن الطرق التي مر منها في تناقله بين هذه المجموعات الى ان استقر به الامر في خزانة معينة , ان من شأن هذا البحث ان يساعد على اكتشاف الاسباب التي ادت الى ضياع مخطوط معين بعدما استفاد منه المؤلفون ونقلوا منه واقتبسوا منه , ومااكثر تلك المؤلفات التي اقتبس منها وضاعت مع الزمن , وقد حاول بعض المحدثين ان يعملوا على ايجاد هذا التراث المفقود , فجمعوا مجموعات من النصوص التي فقدت اصولها من بطون ماهو موجود من كتب التراث , ويدخل في هذا الاطار البحث عن اسماء مؤلفي الكتب المجهولة المؤلف , وما اكثرها في التراث العربي , ان كتب التراجم والفهرسات والمؤلفات البيلوغرافية العربية ملأى بالمصنفات التي لانعرف لها مؤلفا , وقد يمكن العثور على هذه الاسماء , بالرغم من الصعوبات التي يفترضها مثل هذا البحث , الذي لايستطيع خوض غماره الا ذوو التجربة من جهابذة العلماء المتمرسين على التعامل مع التراث[٤٥] .

ولذلك فان اهتمام العرب المسلمين بالمخطوطات كان كبيرا لانها السبيل الوحيد للحفاظ على موروثنا الحضاري , والذي يكشف ماكانت عليه الامة من تقدم وازدهار في مختلف حقول المعرفة فهي الوعاء الذي حفظ نتاجات العقل من رقي حضاري في مختلف الفترات الزمنية كما انها تعكس مدى اسهامات الحضارة العربية في اغناء الحضارة الانسانية باسباب التقدم والرقي , وان البحث في ذخائر التراث لايقتصر على كشف قيمتها المعرفية والتاريخية وانما يعني اظهار امكانيات جديدة قابلة للعصرنة

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

والفوائد التي نجنيها من احياء التراث العلمي ودراسته عديدة , منها اثراء المدخل التاريخي في تدريس العلوم وتصحيح تاريخ العلم بكشف حالات الغش الفكري الذي حدث من جانب بعض المؤرخين واضافات المستشرقين في حق تراثنا وللمخطوطات قيمة طبية ايضا , حيث توجد مؤلفات تراثية يمكن الاستفادة منها في مجال طب الاعشاب الذي ابدع فيه علماء السلف , ولايزال معتمدا في الكثير من الدول , وتتضمن مخطوطات العلوم افادات مباشرة وغير مباشرة تغني مؤرخي الحضارة , ومع ازدياد البحث عن المخطوطات النادرة في مختلف انحاء العالم زادت الحاجة الى دعم حركة الاحياء الحضاري لتراث المسلمين لمواجهة كل تحديات الحاضر والمستقبل [٤٦].

وكان المستشرقين قد سبقوا العر ب الى نشر هذا التراث منذ اكثر من مائة عام , فنشروه متبعين نهجا علميا دقيقا , مع ضعف فريق منهم باللغة العربية او اطلاع اخرين منهم عليها , وشاء العرب ان يحذو حذو المستشرقين في تحقيق النصوص , فنجح اناس اوتوا العلم والمنهج العلمي واخفق اخرون اعوزهم المنهج الذي ينبغي اتباعه في النشر , وحاول هؤلاء ستر نقصهم هذا بالغض مما نشر المستشرقون واتخذوه هزوا , ومن الانصاف ان نقرر ان المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا منذ القرن الماضي , وانهم اول من نبهنا الى كتبنا ونوادر مخطوطاتنا وانهم وضعوا بين ايدينا نصوصا لولاهم لم نعرفها , نضرب على ذلك مثالا : في سنة ١٨٦٦هـ نشر وستنفلد معجم البلدان لياقوت , وفي سنة ١٨١٩هـ نشر فريتاغ المنتخب من تاريخ حلب لابن العديم ولم يصدر حتى اليوم عندنا طبعات احسن منها [٤٧].

ان مؤلفي المخطوطات العربية سبقوا الغرب والعالم في نمط التاليف تميزوا به ايضا وهو تاليف ووضع كتب الطبقات والتراجم على تنوعها وكثرتها , كذلك فقد امتازت المخطوطات العربية بمقدماتها الوافية وبتنظيمها , فهذه المقدمات تعرف بالكتب وتوضح مدى الجهد الذي كان يبذله المؤلفون في وضع كتبهم[٤٨] .

كما الف الغربيون كتبا جمة حول هذا التراث , واستطاعوا ان يطلعوا العالم الغربي على اهمية التراث العربي المخطوط من خلال التحقيق والدراسة والترجمة وانصرف البعض الى التراث العربي كما فعل مايرهوف متتبعا المجال الطبي والاكتشافات في علم التشريح وغيره , وحقق عدد من المخطوطات , على ان الاوربيون قد سبقوا الى نشر التراث العربي المخطوط لانتشار الطباعة في حين ان الطباعة العربية التي كانت قد عمت بدءا من القرن الثامن عشر مع قيام مطبعة بولاق الرسمية في مصر[٤٩] .

المحور الثالث : نماذج من المخطوطات الاسلامية واهميتها في التاريخ الاسلامي:

منذ ان نزل القران الكريم على العرب غارسا فيهم سر الخلق والانبعاث ومحرضا لهم على القراءة والتفكير والبحث , اكتضت خزائن ديار الاسلام بمئات الالاف من المخطوطات العربية , وتوزعت على المساجد والمدارس والمكتبات العامة والخاصة , تشهد لهذه الامة ان شعلة الابداع لن تنطفئ وان غشاها ضباب التخلف في بعض الفترات , ولقد احتضنت المكتبات العامة والخاصة والمساجد والمدارس في الكثير من المخطوطات العربية , وقد تم فهرسة بعض الادلة على ذلك , وبهذا الدأب والاحترام لمهنة نسخ المخطوطات وفهرستها كان الكتاب العربي المخطوط متاحا لكل من يطلبه من حدود الصين الى جبال اسبانيا ومن ادغال افريقيا الى صحارى جزيرة العرب[٥٠]. وفيما يلي نماذج لبعض المخطوطات الاسلامية التي كان لها اثرا كبيرا في التاريخ العربي والاسلامي :

يعتبر المصحف الشريف من أول المخطوطات الدينية التي وجهت إليها العناية والاهتمام، حيث خصَّه الفنانون المسلمون بجهود فائقة من أجل تجميله وزخرفته وتطوير أساليب رسمه وحفظه. وتحتفظ

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

مكتبات العالم ومتاحفه على وجه العموم , ومكتبات العالم الاسلامي والعربي على وجه الخصوص بآلاف من المصاحف الخطية , والمصاحف المخطوطة تعتبر ثروة علمية عظيمة الاهمية فمن الناحية التاريخية تحكي تلك المصاحف قصة الحفظ الموثق للمصحف الشريف منذ عصر الصحابة الى زماننا هذا , ومن الناحية العلمية تبين تلك المصاحف جوانب مهمة من علوم القران التي خدمت المصحف والقراءة فيه , ويتجلى من خلال تلك المصاحف تطور عدد من علوم القران كعلم النقط والشكل , وعلم الوقف والابتداء وعلم القراءات ... , كما تكشف المصاحف ما بذله الخطاطون والنساخون من جهود في نسخها بخطوط متنوعة , وزخارف جميلة زينت المصحف بأجمل اللوحات الفنية الخاصة بأطر الصفحات وفواتح السور , وحاويات اعداد الايات والاجزاء والاحزاب ومواضع السجدات[٥١] . ولم تقتصر المخطوطات الدينية على المصاحف وحدها بل شملت كتب الحديث والسيرة والفقه، وغيرها، إلا أن مخطوطات المصاحف تظل أكثر تلك المخطوطات روعة وجمالاً.

وان التراث العربي الاسلامي من المخطوطات الدينية تراث مميز لانه يرتبط بالقران الكريم والحديث الشريف , فعلاوة على كتب التفاسير والحديث نجد مؤلفات كثيرة جدا في الفقه الاسلامي وفروعه , وهو العلم المتعلق بالقانون الاسلامي , ومن اهم الكتب المتعلقة بالفقه كتاب (المحلى) للامام الظاهري ابومحمد بن حزم (ت٤٥٦هـ) , ويرتبط ايضا بالقران الكريم والحديث الشريف المؤلفات التي بحثت في اخبار الرواة والمحدثين وتراجمهم , مثل طبقات المفسرين للسيوطي , وتاريخ الثقات لاحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت٢٦١هـ) , وكتب الاسماء والكنى لمؤلفين مثل يحيى بن معين وابي بكر بن ابي شيبة واحمد بن حنبل وغيرهم , فضلا عن ذلك فان العلماء العرب المسلمين لم يتركوا اي ناحية من النواحي البحث في العلوم الدينية والاسلامية دون دراسة وتمحيص , ومكتباتنا العربية زاخرة بالمخطوطات التي حقق ونشر منها الكثير ومازال الباحثين يسعون نحو تحقيق ونشر مالم ينشر من هذه المخطوطات [٥٢].

كان العلماء العرب والمسلمون متفوقون في دراساتهم العلمية واكتشافاتهم التي سجلوها في مخطوطاتهم العلمية ففي الطب تمثل المؤلفات الطبية العربية انجازا علميا يحمل الطابع العربي الاسلامي وليست نقلا عن العلوم القديمة في الطب باعتراف علماء الغرب ومفكريه وعلماء العالم , ففي علم التشريح كان للمنصوري في تشريحه مالم نجده في الطب اليوناني مثلا , كذلك انتقد العلماء العرب في الطب ماورد في مؤلفات جالينوس , كما كانت لهم انجازات هائلة فيما يتعلق بتشخيص الامراض وعلاجها , فضلا عن مؤلفات الرازي حيث تميزت بملاحظاته ووصفه للاعراض في الامراض[٥٣] .

وتعددت مؤلفات العرب في الرياضيات والفلك والضوء وخاصة لجابر بن حيان الذي كان من ابرز الرياضيين والكيميائيين العرب , وقد الف ست وعشرين كتابا في الكيمياء ترجم بعضها الى اللغات الاخرى , وكانت مصدرا مهما للدراسة في الجامعات العالمية , وفي الفيزياء برع العالم العربي ابن الهيثم بالنسبة لمكتشفاته في علم الضوء التي دونها في مؤلفاته المهمة في هذا العلم , واوله كتابه (علم المناظر) وبحوثه الاخرى العديدة , فضلا عن الدراسات المختلفة في العلوم الاجتماعية حيث كان ابن خلدون من ابرز الذين اتوا بنظريات واراء في علم الاجتماع , فكانت ارائه سباقة لكبار مفكري علم الاجتماع في الغرب , بل انهم تأثروا بارائه وتناوله الباحثون بالدراسة والبحث فابرزوا اهميته كعالم اجتماع , ومن هؤلاء هلموت ريتر في بحث سيكولوجي اجتماعي يتصل بافكار ابن خلدون . وكانت احوال المعلمين وشؤونهم من الموضوعات التي حظيت باهتمام المؤلفين العرب , ومن اشهر المؤلفات فيها رسالة الجاحظ في المعلمين التي طبعت على هامش كتاب الكامل للمبرد (ت١٣٢٣هـ) , وقد تناول الجاحظ فيها وضع المعلمين من الناحية الاجتماعية . اضافة الى اتساع الافاق المعرفية في التاريخ والجغرافيا والتراجم , فهناك كتب التاريخ العام كتاريخ الطبري والكامل في التاريخ وغيرها , وهناك كتب تختص بتاريخ بلدان معينة كتواريخ الاندلس الكثيرة واخرى عني مؤلفوها بتاريخ دمشق او حلب او

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

مصر او بغداد ومن اهمها تاريخ دمشق لابن عساكر (ت٥٧١هـ) , وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وغيرها كثير [٥٤].

كما يزخر التراث العربي بالكتب التي تناولت علوم اللغة العربية , وقد كان للقران الكريم الفضل في الحفاظ على اللغة العربية ولنشاط اللغويين في التاليف اللغوي فقد تسارعوا الى تاليف المعاجم اللغوية , ولعل في سبق العرب الى الترتيب المعجمي مايعد في تاريخ اللغات الانسانية فضلا كبيرا اعترف به العالم باسره للعرب اذ كان اول المعاجم معجم العين للخليل بن احمد , وقد شمل هذا التراث ايضا كتبا موسوعية في تنوع بحوثها كنهاية الارب في فنون الادب , وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربة الاندلسي فهو يضم جوانب ادبية كبيرة , ومثله كتاب الاغاني للاصفهاني وهو من اشهر الكتب الادبية في القرن الرابع الهجري , حيث كثيرا من المعارف عن عصره كاخبار الشعراء والادباء وغيرهم [٥٥]

ومهما يكن من امر فقد ظهرت مؤلفات عديدة في الوطن العربي لوصف التراث في مختلف النواحي والمعارف الانسانية , وانما اردنا من خلال هذا البحث ان نبرز جانب بسيط ولكنه على قدر كبير من الاهمية في تعدد مجالات التراث العربي المخطوط , فقد تناول المؤلفون العرب بالبحث هذه المجالات بمؤلفات غنية زاخرة بالمعرفة فتركوا تراثا عظيما .

الخاتمة :

لقد تبين لنا من خلال البحث عدة امور منها :

١- تعد المخطوطات العربية الزاد الثقافي والحضاري للامة الاسلامية , وقد حظيت المخطوطات منذ القدم باهتمام العلماء والمؤلفين بعمليات الضبط الببلوغرافي , وذلك منذ القرن الرابع الهجري .
٢- ان تراث اي امة هو ماتملكه من تاريخ عريق وحضارة قديمة واثار ومقتنيات ثقافية , قد تكون في صورة كتاب او مخطوط او تمثال منحوت او نقش على جدار او غيرها , ويمتد هذا العطاء الى مستقبلها المنتظر , ويمثل المخطوط جانب مهما من الجوانب المضيئه لهذا التراث القيم , لما له من انتشار اوسع وتاريخ اقدم وسهولة في التدوين , قياسا بالنقوش والتماثيل والحفريات , نظرا لطبيعة المواد المكتوب بها والمواد المكتوب عليها .
٣- اهتم العرب والمسلمون قديما بالعلوم والتدوين وتركوا تراثا حضاريا ثريا من المخطوطات من حيث العدد والتنوع، ورغم أهميتها العلمية والثقافية كمراجع تاريخية في مختلف العلوم، إلا أنها لم تحظ في مواطنها الأصلية بالاهتمام والحفظ وهو ما جعلها اليوم موزعة في العديد من المكتبات عبر العالم.
٤- أن المخطوطات الإسلامية والتي ورد معظمها باللغة العربية، هي الأكثر عددا في العالم وأنها موزعة في العديد من المكتبات والمتاحف اليوم في الدول الإسلامية وغير الإسلامية حيث مثلت مصدرا لدراسة الحضارات الإسلامية عبر العصور وما بلغه علماؤها من تطور وابتكار وإبداع في الآداب والعلوم بأنواعها.
٥- عديدة هي المخطوطات الإسلامية العربية التي نقلت من مواطنها الأصلية إلى دول أخرى لأسباب مختلفة منها السرقة والنهب للمتاجرة بها بطرق غير شرعية أو عبر الاستيلاء عليها أثناء الحروب والاستعمار، فكان مآل بعضها أن تحفظ حفظا يليق بمكانتها الثقافية والتاريخية الهامة والبعض الآخر أتلف وأهمل لتضيع معه صفحات من التاريخ.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

الهوامش ومصادر البحث :

(١)الزمخشري , ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد (ت ٥٣٨هـ) , اساس البلاغة , القاهرة , ١٩٦٠م , ص٢٤٠.
(٢) الزبيدي , محب الدين ابي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني , تاج العروس من جواهر القاموس , تحقيق: علي رشيدي , دار الفكر , بيروت , ١٩٩٤م , ج١٠ , ص٢٤١.
(٣)النشار , السيد السيد , في المخطوطات العربية , دار الثقافة العلمية , الاسكندرية , ١٩٩٧م , ص٥-٦ .
(٤)البدري , ياسر محمد ياسين , معوقات صناعة فهارس المخطوطات , بحث منشور في مجلة دراسات تربوية , العدد ٤١ , ٢٠١٨م , ص١٨٢.
(٥)بنين , احمد شوقي , دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي , ط٢ , المطبعة والوراقة الوطنية , مراكش , ٢٠٠٤م , ص١٥.
(٦)بنين , دراسات في علم المخطوطات , ص١٨.
(٧)ابراهيم , ناجي عبدالله , المواد التي يكتب عليها المخطوط , بحث منشور في مجلة التراث العلمي العربي , العدد ٣٦ , ٢٠١٨م , ص٧٢-٧٣.
(٨)ابراهيم , المواد التي يكتب عليها المخطوط , ص٨٤-٨٥.
(٩)ابراهيم , المواد التي يكتب عليها المخطوط , ص٧٤.
(١٠) سيد , ايمن فؤاد , الوصف المادي للمخطوطات (ضمن كتاب فن فهرسة المخطوطات) , معهد المخطوطات العربية , القاهرة , ١٩٩٩م , ص٦٠.
(١١) سيد , الوصف المادي للمخطوطات, ص٥٩-٦٠ .
(١٢) النشار , في المخطوطات العربية , ص٩.
(١٣) الطباع , اياد خالد , المخطوط العربي دراسة في ابعاد الزمان والمكان , مديرية احياء التراث العربي , دمشق , ٢٠١١م , ص٩٥-٩٦ ؛ النشار , في المخطوطات العربية , ص١٠.
(١٤) النشار , في المخطوطات العربية , ص١٣.
(١٥) سيد , الوصف المادي للمخطوطات , ص٦٠ .
(١٦) النشار , في المخطوطات العربية , ص٥٢-٥٤.
(١٧) النشار , في المخطوطات العربية , ص٥٧-٥٨.
(١٨) خلف , ابراهيم حسين , الاتلاف البشري للمخطوطات وسبل الحفاظ عليها , بحث منشور في مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية , جامعة سامراء , مج٣ , عدد٥ , السنة ٣ , ٢٠١٦م , ص٢٠.
(١٩) هارون , عبد السلام محمد , تحقيق النصوص ونشرها , ط٧ , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٩٨م , ص١١.
(٢٠) هارون , تحقيق النصوص ونشرها , ص١٣.
(٢١) الحلوجي , المخطوط العربي منذ نشاته , ص٧٢-٧٣.
(٢٢) هارون , تحقيق النصوص ونشرها , ص١٤.
(٢٣) الحلوجي , عبد الستار , فن الفهرسة المصطلح والحدود (ضمن كتاب فن فهرسة المخطوطات) , معهد المخطوطات العربية , القاهرة , ١٩٩٩م , ص٢٠-٢١.
(٢٤) الحلوجي , فن الفهرسة المصطلح والحدود, ص١٩.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

(٢٥) ساعاتي , يحيى محمود , وضعية المخطوطات في المملكة العربية السعودية الى عام ١٤٠٨هـ , مكتبة الملك فهد الوطنية , الرياض , ١٩٩٣م , ص١٣.

(٢٦) الحلوجي , عبد الستار , الكتاب العربي المخطوط في نشاته وتطوره الى اخر القرن الرابع الهجري , بحث منشور في مجلة الوعي الاسلامي , العدد٧٩ , ٢٠١٤م , ٧٠.

(٢٧) النشار , في المخطوطات العربية , ص١٩؛ الحلوجي , المخطوط العربي منذ نشاته , ص٧٤.

(٢٨) النشار , في المخطوطات العربية , ص١٩.

(٢٩) محمد , مولاي , المخطوط والبحث العلمي دراسة تقييمية لنشاطات مخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية , رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية , جامعة وهران , ٢٠٠٩م , ص١١٧-١١٩.

(٣٠) بنين , دراسات في علم المخطوطات , ص٢٠ .

(٣١) فرحان , غالب ياسين واسراء نجم عبد الرضا , ادوات كتابة المخطوطات وطرق حمايتها دراسة في مقتنيات العتبتيين الحسينية والعباسية المشرفتين , بحث منشور في مجلة جامعة الانبارللعلوم الانسانية , العدد ٣ , ٢٠١٨م , ص٥٩-٦٠.

(٣٢) الحلوجي , عبد الستار , المخطوطات والتراث العربي , الدار المصرية اللبنانية , القاهرة , ٢٠٠٢م , ص٢٧.

(٣٣) جواد , سهلة علوان , التوثيق الالكتروني (رقمنة الكتب التراثية) ودورها في حفظ المخطوطات دائرة دار المخطوطات العراقية انموذجا , بحث منشور في مجلة اداب المستنصرية , العدد ٧٦ , ٢٠١٦م , ص٢١٨.

(٣٤) عنيزان , فاطمة زبار , الجهود المبذولة في فهرسة المخطوطات في بعض المكتبات العربية والعالمية , بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات , جامعة بغداد , مج ٢٨ , عدد١ , ٢٠١٧م , ص١٦؛ عبد الله , رائد امير , المخطوطات المفقودة في مكتبة اوقاف الموصل (دراسة وثائقية احصائية) , بحث منشور في مجلة دراسات موصلية , عدد٢٦, ٢٠٠٩م , ص١٠٠.

(٣٥) حسين , شيماء جاسم واخرون , فن تصوير المخطوطات التاريخية العثمانية , بحث منشور في مجلة جامعة بابل , كلية العلوم الانسانية , مج ٢٥ , عدد٥ , ٢٠١٧م , ص٢٥٤٣.

(٣٦) المنجد , صلاح الدين , قواعد فهرسة المخطوطات العربية , دار الكتاب الجديد , بيروت , ١٩٧٦م , ص٩ .

(٣٧) المنجد , قواعد فهرسة المخطوطات العربية , ص١٠ .

(٣٨) https://www.alukah.net :

(٣٩) https://www.alukah.net :

(٤٠) https://www.alukah.net :

(٤١) عواد , كوركيس , اقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم , دار الرشيد , بغداد , ١٩٨٢م , ص٩.

(٤٢) سيد , الوصف المادي للمخطوطات , ص٦٢.

(٤٣) الطناحي , محمود محمد , مدخل الى تاريخ نشر التراث العربي , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٨٤م , ص١٦.

(٤٤) الطناحي , مدخل الى تاريخ نشر التراث العربي , ص٢١.

(٤٥) بنين , دراسات في علم المخطوطات , ص٢٧-٢٨.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2. 2020

(٤٦) خلف , الاتلاف البشري للمخطوطات , ص٢٠-٢١.
(٤٧) المنجد , صلاح الدين , قواعد تحقيق المخطوطات , ط٧ , دار الكتاب الجديد , بيروت , ١٩٨٧م , ص٧.
(٤٨) المحاسني , سماء زكي , دراسات في المخطوطات العربية , مكتبة الملك فهد الوطنية , الرياض , ١٩٩٩م , ص١١.
(٤٩) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص١٥.
(٥٠) المرزوك , صباح نوري , المخطوطات العربية في تركيا , بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الاسلامية , عدد ٤٤ , ص٢٥٣.
(٥١) الراشد , رائد امير عبد الله , المصاحف المخطوطة في التراث العربي الاسلامي (مكتبة الاوقاف المركزية – الموصل انموذجا) , مجلة دراسات موصلية , جامعة الموصل , د.عدد , ص٢.
(٥٢) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص٢١-٢٢.
(٥٣) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص٢٢-٢٣.
(٥٤) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص٢٤-٢٧.
(٥٥) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص٢٦.